70 - السيدة رملة بنت أبي عوف

سبق إسلامها وزوجها

اسمها رملة، والدها أبو عوف بن صُبيرة، وزوجها المطلب بن أزهر ابن عبد عوف الزهري، وهو ابن عم الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف.

كانت رملة وزوجها المطَّلب وأخو زوجها طُليب بن أزهر ﷺ من السابقين الأوائل للإسلام، وقد انضووا تحت لوائه وهو لم يزل في أيامه الأولى منذ أشرقت شمسه على جبال مكة ووهادها، وكان إسلامهم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ولما وجدت قريش أن في هذا الدين خطراً عليها، وأنه سينازعها سلطانها، ويطيح بزعامتها، قرَّرت أن تناصبه العداء، وتلقاه بالبغضاء، وجرَّدت لذلك بعض السفهاء، فراحوا يخصُّون المستضعفين من أتباع خاتم المرسلين بالأذى والعذاب المهين، لقد اغترَّت قريش بقوَّتها، وتحدَّتهم ببطشها وسطوتها، دون أن تنظر في عاقبة فعلتها، وكانت عاقبة أمرها خسراً.

وإزاء بغي قريش وإيذائها للمسلمين أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ريثما يقوى الإسلام ويشتدُّ عوده.

هجرتها ووفاة زوجها

وانطلقت رملة وزوجها وأخوه مع قافلة المهاجرين فراراً إلى بلد النجاشي، ليعبدوا الله في أمان، يخلِّصهم من البغي والعدوان، وعلى تلك الأرض الطيِّبة أهدت رملة زوجها الحبيب طفلاً جميلاً سمَّته عبد الله فغمرت الأسرة سعادة عارمة، وفرحة غامرة.

ولكن من سنن الحياة ألَّا يدوم لها صفاء، ولا يستمرَّ فيها هناء، فقد فُجعت رملة بموت زوجها المطَّلب وأخيه، فعكفت على ابنها تربِّيه، وبمبادىء الإسلام تغذِّيه، ورأت أنها خلَّفت وراءها في مكة الهموم والأحزان، فإذا هي تلاحقها في الحبشة، وتقتحم حياتها دون استئذان.

ونظر المهاجرون إلى فداحة مصابها، وعظيم خسارتها، فقرَّروا مدَّ أيديهم لمساعدتها، ولم تألو الصحابيات المهاجرات جهداً إلَّا بذلنه حتى تربِّي طفلها الوحيد، لأن عهدها بتربية الصغار جديد، فهي تجربتها الأولى مع الأطفال، ولا خبرة لها بما يمرُّ بهم من الأحوال.

واحتسبت رملة زوجها الطيب عند الله، وسألته أن يشبهه ابنه عبد الله في وداعته ولطفه، ورقَّته وعطفه.

وبدأ عبد الله ينمو ويكبر، وعاد الأمل بصفاء الحياة في نفس الأرملة يشرق ويظهر، فقد كان عبد الله شديد الشبه بأبيه، لقد أرضعته لبن الإسلام، وزرعت في نفسه بذور الإيمان، فصار يعامل أمه برقَّةٍ وحنان، وكان لها فيه العزاء والسلوان.

ونسيت رملة أحزانها، وظلَّت مواظبة على طاعتها لربها، وبعد عودتها مع المهاجرين إلى المدينة، كانت صوت الأذان يبعث في نفسها الاطمئنان، ولم تلبث أن دعتها السماء، فسرعان ما لبَّت النداء.

رحم الله رملة وزوجها المطَّلب، وتقبلهما بقبولٍ حسنٍ.